(١٢)

عبد من عباد
في دورة للرشاد
لحق في عماء في دثار من رجاء

حديث الجمعة

٨ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ - ٧ سبتمبر ١٩٦٢ م

انشقت عنه الأرض، كائنا من الناس، غاب عن نفسه إلى الأسمى من أمره فمات عن أمره وبُعث بأمر ربه، عنون الحق بخُلقه وهو ما زال في جلباب خَلقه، فشرَّع للناس بسنته، وحمل إلى الناس من حقيقته حديثا خالدا على الزمان، شأن متحدثه عين متلقيه. في ألوان من المقال، ومصادر من القول رسم للناس ما يحييهم بما فعل وما وهَب، ليفعلوا ويتعرضوا لهبات يد الله ممتدة برحمة مهداة، أفرادا يستقيمون، وجماعات يتوحدون، وأمما يتجددون، وسلطانا يتبادلون، وامتثالا للأعلى ينتظمون، حتى إذا ما حان الحين لغياب فرده، ليتجدد بأهله، ويتوحد بجمعه، ويقوم بأمته، وينتشر بدينه وشِرعَته، ظهورا لكوثره، ودواما لبلاغه، وقياما لبيانه وسماعه حج البيت للوداع، فتكلم في عرف مظهره كلمة الوداع وما ودع، ونزل من علويه حيث صار وما انحط بما فعل وبما عرف إلى الوادي حيث البيت الموضوع رمزا لبيته من المكان المرفوع، رمزا لذكره من دائرة المعرفة بربه إلى دائرة الأماني لساحته، إلى دائرة البيت لقومه بأهله فدخل البيت مطأطئا، لم يرفع، وصلى منه على الناس، يبارك ويشفع، لا يسأل ولا يُدين، ربا للناس غفورا رحيما، تمت للناس مكارمه، متخلقا بأخلاق الأعلى الواسع في غفرانه وكرمه، الذي تعالى على الناس إدراكه، فكان هو عبدا له به عرف، ورسولا منه به عبد، ورفيقا منه للعباد مدانيا من الرفيق الأعلى له علم وعنهما عَلّم، ودَّ لو لم يدخل البيت حتى لا يشق على قومه فيكون الدخول مفروضا في شرعته، وحتى لا تلتزم بالأمر من بعده أمته، ودَّ لو وقف تشريعه على تلبية النداء من المؤذن للصلاة، من يوم الجمعة من نفسه، ودَّ لو لم يجعل من مناسك دينه وشرعته أن يدخل فريق من أمته البيت، مطأطئي الرؤوس فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فرض على المعلمين ليعلموا ويعلموا، وعلى الدعاة ليلبوا وينادوا، وعلى الراشدين ليتبعوا فينتشروا.

يستقبل الناس البيت مصلين، ويطوفونه حاجين، ويدخلونه عارفين. من دخله كان عليه أن يصلى على الناس لتكون صلاته سكنا لهم، والناس مأمورون بصلاتهم أن يقيموا صلتهم بمن في البيت بأهل البيت يصلون عليهم، مؤمنين أن الله من ورائهم محيط يصلي وملائكته على من في البيت، ويصلي بهم على الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويصلي من الناس عليهم من ورائهم محيط لترتد أعمال الناس بالصلاة عليهم إلى أنفسهم مضاعفة مزكاة.

هذه شرعة من شرائع الإسلام.. شرعة الحج.. شرعة الطواف.. شرعة الوقوف بعرفة.. شرعة الوقوف عند قدم جبل الرحمة.. شرعة الاستقبال من جبل الرحمة.. شرعة الانتظام والتناسق في دوائر من رجال، رواسي الأرض ماثلة في حلقة من جبال حول ساحة معرفته بعرفة، وساحة رحمته بمنى، وحول بيت إفاضته وقبلته بالبلد الحرام، الذي شاركت في إعداده الطبيعة بإعداد المكان قبل مجيء الإنسان. هل عرف الناس ما عنى بهذا المنسك؟ ما عُني بهذه الشرعة؟ إنه يوم اعتزم عَلَمُ الحق أن يجدد عَلَمَه، وأن يشرح معلومه دخل البيت، وصلى على الناس، فكمل للناس العلم عن دينهم، وأبان بذلك للناس أمره وأمرهم، فأمر أهله بالصلاة والاصطبار عليها، وقد تولوا زمام الأمر من أمره، إذ دخلوا بيوت أنفسهم متابعين، لم يخرج ولم يخرجوا من قلوبهم بعد أن دخلوها لأنفسهم مجددين، وترك الأمر للمصلين، وللطائفين، وللعاكفين، وللراكعين، والساجدين أن يقيموا مناسكهم مجاهدين ومتابعين، وأن يقوموا طريق استقامتهم عاملين، فأمر أهله أن يأمروا طالب الاستقامة، صاحب النفس البكر العذراء، أن يأمروا فيه البشرية، الآدمية في قيامها، والإنسانية في نيامها، في شخص كل صادق، وكل فارق بين الحق والباطل، كل مجاهد لنفسه، كل طالب لأن يستقيم على أمر ربه في شخص صديق من صديقين، وفارق من فارقين، إذ قال لأهله: مروا أبا بكر فليصلي بالناس، فليصلي أمام الناس، فليصلي إماما للناس، فليقدم الناس، فليتقدم على الناس ليتابعه الناس على فعله، فيعلمون ما علم، ويستقيمون على ما عليه استقام. ما فضلهم أبو بكر بصلاة أو صيام، ولكن فضلهم بشيء وقر في الصدر، وكم ضرب الرسول على صدره مشيرا (التقوى ها هنا، التقوى ها هنا)[1]...

فكيف صلى أبو بكر بالناس؟ وكيف صلى خلفه الناس؟ وكيف اتقى الناس؟ وكيف عرف الناس؟ هذا هو أمر الإسلام، إذا طلب الناس أن يعرفوا ما الإسلام. وهذا أمر الدين، إذا طلب الناس أن يعرفوا ما أمر الدين. كان على أبي بكر أن يلبي نداء أهل البيت بالحج والصلاة بما وقر في صدره، تجديدا لإيمانه بصاحب البيت وقد تجدد البيت، وأن يستقبل البيت في صلاته حتى يستقبله الناس، وأن يعرف بما يعرف عن أهل البيت في صلته حتى يعرف الناس. كان عليه أن يستقبل البيت الذي عرف، ووجه الرب الذي به شرف، وأن يلبي نداء أهل البيت، كما لبى من قبل نداء البيت وقد

أشرق قلبه بفجر يوم الجمعة، وأن يجدد صلته وصلاته بأهل البيت، كما أقامها البيت فيه له، بما وقر في صدره، وبما أدرك من أمره. ولكن أبا بكر ضعف أمام نفسه وأمام الناس، كما ضعف في كل زمان أبو بكر. ضعف كما ضعفت كل نفس عذراء خالية من التجربة. ضعف كما ضعف آدم من قبل. وعهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما. ضعف عن مجابهة الجهل وخشي أبا جهل ونسيه أبا جهل. ضعف عن مقابلة الطغيان، وخشي أبا سفيان ونسيه أبا سفيان. خشي الناس ونسيه الناس، فتوجه مع الناس ولم يوجههم، وصلى مع الناس ولم يصلِ بهم، وطغى عليه الناس، ولم يطغَ هو عليهم بإيمان، ووقف عهده لأهل البيت عند نفسه، معللا نفسه بالاستقامة، وبالبعد عن الملامة واهما في ذلك السلامة يوم قال للناس (ارقبوا محمدا في آل بيته) [٢]. وما فعل هو، وما راقب هو محمدا في آل بيته حتى يرقب الناس محمدا في آل بيته. وأهل بيته ومعناهم من بيته هم الدين وهم الباب واليقين. هم قبلة الصلاة للمصلي، ووصلة النجاة للطالب للنجاة من المنجي، وهم بيت الحجيج، ومنارات الطريق.

هذا كان، وهكذا سيكون، وهكذا هو كائن من أمر أمة محمد إلا من رحم، لا يعرفون لهم قبلة، ولا يعرفون لهم بيتا، ولا يستقبلون لهم في صلاتهم وجها، ولا يطوفون في معانيهم بغاية من رشد، ولا يتخذون لغايتهم وسيلة من بيت. لا دليل لهم، لا راشد ولا رشيد بينهم، لا رشد يُطلب، ولا ظلام ينبذ، ولا طغيان يقاوم، ولا طريق تستقيم. لا منار لهم في طريق إن طرقوا، ولا هَم لهم في سلوك إن سلكوا، ولا وعي لهم عن منسك إن تنسكوا، ولا رشاد لهم من نور إن قرأوا، أو استمعوا، معالم الدين منقبرة خافية، مندثرة بالية. الدين بينهم أثمال لا تجذب نظرا، ولا تحمل أثرا، ولا تُبين خبرا، ولا تُفنى أو تستهلك ملبسا.

ما الدين الذي تشهدون؟ إنه معالم لأمر مندثر لا حياة فيها ولا إعلام عنه. لو صَدَق انتسابها إلى المعلوم بها لكان الإيمان في الكفر به وبها، وفي الجفوة له ولها، والبعد عنه وعنها. إن الله وقد منح العقل وشرَّفه، وكان العقل للإنسان به شرفه، وعى، وجاهد، واستقام، فخار، فضل، فاهتدى، فإلى من شرف به هدى. (العقل أصل الدين)[٣] كما قال مؤسس الدين، ومجدد الفطرة، وكما قالت الحياة بآياتها ومعالمها، وكما قال كلما قال ومن معه من يدرك آيات الله في نفوس الناس، وفي أنفسهم، وفيمن حولهم، وفي الآفاق، بما فيه وفيهم من العقل، فمن يدرك إلا العقل، ومن يقرأ إلا العقل، ومن يترجم اليقين والآيات للناس إلا العقل، ومن يحملها للناس إلا العقل، ومن يستجيب لها بالعقل إلا العقلاء، وما يعقلها إلا العالمون. أوقف الله العقل بين يديه ثم قال له أدبر فأدرك حكمة الأمر فأدبر، ثم قال له في إدباره وهو المدبر: أقبل فخلع من الإدبار، وانقلب إلى الإقبال راضيا مرضيا، سعيدا

بإدباره يوم أدبر امتثالا لأمر آمره، مسعدا بإقباله يوم أمر بالإقبال، فأقبل شوقا إلى أمره، عرفه المأمور وعرفه بآمره الآمر، فاستقام على أمره ولم يخدع عن آمره.

العقل.. العقل.. هو مناط الشرف، وهو مصدر الأمر بالتكليف، وهو محل القيام في الاستقامة على المأمور.

العقل.. من موهوب ومكسوب، هو مصدر للتشريع، ومصدر لكلام الله، وحديث الله، وهدي الله، ونور الله، يصدر من العقل الموهوب، يوم يدخل البيت فيصلي على الناس، ولا يرفع الرأس إلى أعلى، فيصلي عليه الأعلى ويدانيه، به يقوم دانيا للناس في معانيهم، فيقول للناس مأمورا، لا آمرا، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، فيسن لهم بسابغة حيرته طريقهم إلى أمر نهايته قدوة وأسوة. هذا ما أراده الرسول يوم دخل البيت في حجة الوداع ليهيئ أمره من نفسه، ويجدد أمره من أهله، ويكشف أمر أهله أمر ربه ونفسه، ليقول للناس (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم)[٤]، ما دام النور الذي أنزل علي يتواصل نزوله، ليقول للناس (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون على الدين ظاهرين لا يضرهم من خالفهم)[٥] حول البسملة لم ترفع من بعدي، ليقول للناس: لا زال هذا الرشاد، لا زال هذا العلم، لا زال هذا الوعي، يحمله عدول من هذه الأمة برجال طبقة بعد طبقة إلى أن تقوم الساعة، هم عترتي وقرين كتابي إلى أن تتجدد هذه الأمة وهذه الرسالة تجديدا كاملا شاملا، يوم تأتي رسالة بيانه بجديد ربي في دوامه. وذلك يوم يتجدد للناس في الناس من الناس قديم عنوانه، يوم يبعث من خلاله، يوم يتجدد قديم إنسانه بجديد إنسانه حتى يعرف الناس معنى الإنسان وكوثره في خالده وأبتره، فيقدروا قيمة أنفسهم بمعنى الإنسان، ويدركوا فيجانبوا أنفسهم في معنى الحيوان والشيطان. إن فعلوا غيروا ما بأنفسهم وعرفوا الله في أنفسهم، أقرب إليهم من حبل الوريد، فقدروا الله حق قدره متعاليا مدانيا، بعيدا مقاربا، قلب كل شيء، والظاهر بكل شيء، والقائم بكل شيء، وعلى كل شيء. كل الأشياء عليه علم وله معلوم ومنه أعلام. كل الأسماء اسمه أو هي أسماؤه، وكل الأعلام وجهه أو هي أبناؤه، أينما تولوا فثم وجه الله.

إذا عرف صغير الإنسان في كبير الإنسان الأكبرَ وعينَ معناه عرف ربه في نفسه، فعرفه عين كبيره وعين الأكبر وجها لهما وعنوانا عليهما، عرف الشفع والوتر، عرف التجديد والتعديد والصمدية والتوحيد، عرف المتجلي والصمد، عرف الصفات والأحد، عرف الله ما ينسخ من آية أو ينسها يأتي بخير منها أو مثلها، عرف الله المتجلي في تجليه الدائم الباقي بجديده المتعالي بقديمه الناسخ والمنسوخ، الموجد والموجود، المتواجد والمشهود، الغيب والشهادة، الدنيا والآخرة، العاجلة والآجلة، الأولى والثانية. عرف الله بوجهه حيثما ولى، وعرف الله وراء كل ما ظهر. عرف الله المُخبر

وحامل الخبر وعين الخبر والمدرك للخبر. عرف الله النبأ والمنبئ والمستقبل للنبأ وما وراء المنبئ وما وراء المستقبل للنبأ. عرف الله جديدا لا تتوقف جدته، وعرف الله قديما لا ينتهي تقادمه. عرف الله أزلا لا أزل له بآزاله، وعرف الله الذي لا أزل له أبدا لا ينتهي آباده، ولا يتوقف وصف الأبد له بتجلياته باقية أبدية. عرف الله إذا ما اتصف بالغيب، فهو الغيب، وغيب الغيب إلى ما لا نهاية له. وعرف الله إذا ما اتصف بالشهادة، فهو الشهادة وعين الشهادة ما يظهر من الشهادة مشهودا بلا نهاية لتواجد للشهادة. {والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون}[٦]، {أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم}[٧]، (خلقت كل شيء من أجلك فلا تتعب)[٨] يا من سبق أن خلقتك من أجلي ولنفسي، ولتصنع على عيني، وأنت يا من أخلقك لنفسي لا تتعب، فكل شيء ما خلق أو يخلق إلا لك ومن أجلك، ويوم تحقق لي ما خلقتك من أجله بيتا لنفسي، أحقق لك ما تطلب وما تريد، من كون ودار عرضها السموات والأرض ما خلقت إلا بيتا لنفسك.

أيها البيت الصغير.. أيها العالم الكبير، لا تستهن بأمر نفسك وكن بإرادتك عالما كبيرا فإرادتك إرادة الله، وفعلك حكمة الله، وخَلقك تجلي الله، وخُلقك صفة الله، ومشيئتك مشيئة الله، {وما تشاءون إلا أن يشاء الله}[٩]. {والله خلقكم وما تعملون}[١٠]

إن البيت الموضوع ما زال موضوعا، والنور الذي أنزل معه ما زال متصلا بنزول لم يتوقف، والبعث لنفس البيت بأهله ما زال متصلا ببعث أصولها لها كلمات إليها منها حتى يأتي منها آدمها وأصلها مبعوثا من خلالها من وراء ظهرها إلى قيام مشهود لها وأمام وجهها، {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدتهم على أنفسهم}[١١]، حتى يجليها لوقتها وتشرق الأرض بنور ربها وهي به في دوام مشرقة ليصير ويوضع الكتاب وهو لقارئ موضوع، ويؤتى بالنبيين والشهداء وما غابوا عن عالِم، ويقضى بينهم وما غاب قضاؤه عن تقي، ويحمد الله وما من شيء إلا ويسبح بحمده. يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق، وأن الحق على كل نفس قائم أدرك أو لم يدرك العقل، وأحست أو لم تحس النفس.

على هذا قام الإسلام وبهذا يقوم الإسلام ويتجدد، وبهذا قام المسلم وبهذا يقوم المسلم ويتعدد. إن الإسلام وهو دين الفطرة قامت به الفطرة وجددته، حتى جدده خاتم النبيين وأول العابدين، كمال المعرفة، وشمول الرحمة، ونصب القدس، وبيت القبلة، ووجه الغيب، وحق الإنسان للإنسان بحقه في معنى الإنسان، علما على معلومه عن المنزه المطلق الذي تنزه على الأسماء والتسمية بالفطري المسمى، وتنزه على تغيير الذات والذاتية بعلم الفطرة بأزلي الإنسان يظهر لأبدية في معاني الإنسان فيه منه يتشرف بأسمائه، ويتواجد بذكره، ويتعالى ويتدانى بيوتا فيه، بعباد له منه إليه، أعلام عقول

وألسنة مقول يُقبلون عليه بالنداء، ويدبرون عنه بالحكمة، إله في السماء، وإله في الغيب بإنسان السماء، وبإنسان الغيب، وبإنسان الشهادة، هو إنسان في الأرض، وإله في الأرض، قل جاء الحق وزهق الباطل، فمن عرف الحق في كل مكان، ومن عرف الحق في كل زمان، أقبل على الحق في نفسه لا يغيبه، وفي عالمه وعن عالمه لا يبعده. ومن غاب عليه أمر الحق، ورأى في معناه عين الباطل، وفي عالمه عين الخدعة، فجانب ما رأى من الحق، وتعالى على ما عرف منه فأدبر عن الحق، بقضاء الحق وحكمته، بعث على ما هو عليه وجاءت سكرة الموت بما عنه حاد. أما من لم يتثاقل إلى الأرض، وتعالى في السماء انطلاقا إلى الروح في انطلاقها وحريتها، وإلى رحابة الوجود في الواسع العليم بسلطان الله فيه فلم يكن أمره فرطا، فإنما أدبر بحكمة الله عن محصور بيته، ومحصور عالمه، ومحصور قيامه المادي، وإن له إلى الأرض لإقبال ورجعة، وإن له عما قامه من إدبار عنها، لإدبار عما هو إليه، في بعث إليها ومجيء لها، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات عنده، ويحن لتعريف قومه بما جعل الله له من تكريم، فيؤذن له فيأتي ليقول: هاؤمُ اقرأوا كتابيه بيتا موضوعا لبيت مرفوع.

هذا قانون من قوانين الفطرة، ومن قوانين الحياة، ومن قوانين الوجود، جاء به الإسلام حتى يكون المدبرون من أهل المادة من أهل الأرض على استقامة في أمرهم بحكمة الله، وحتى يكون المبصرون في أنفسهم، وحتى يكون طالبو الله في أنفسهم وفي بيته من قلوبهم أقرب إليهم من حبل الوريد، في استقامة في مسلكهم.

إن الإسلام، وقد أظهر الله رسوله على الدين كله، فجاء لقومه بالدين كله وقال لهم لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، إنها إن تكن مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة في السموات أو في الأرض يأتي بها الله، إن الله واسع عليم، رفع بعضكم فوق بعض درجات، سيد القوم خادمهم، إن الله قريب ممن قاربه، وإن الله بعيد عمن باعده، إن الله يبايع بنفسه الناس على أنفسهم، فإن عشقوه قتلهم وكانت عليه ديتهم، ومن كانت عليه ديتهم كان هو ديتهم فكانوه، إن الله يحييهم بالموت، إن الله يميتهم عن أنفسهم بالحياة، ما الموت إلا الحياة، وما الحياة إلا الموت في الحي القيوم، هو الحي في حياتك ما حييت به، وما نفسك إلا الميت في الحي القيوم، إن الموت إنما هو معناك من عزلتك عَنه، واستقلالك عنه، فإن رددت إليه الدِّين وأمانته التي بها استدانك وأدانك، وأرجعت للديان نفسك، بارك لك فيما أعطاك، وملكك وعليه استأمنك، فكنت وجها له، {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك}[١٢]. وها أنت وجه ربك تبقى ما أدركت هذا فبقيته على ما أنت في كوثرك بتكاثرك، وتفنى ما غفلت عن هذا فأفنيت نفسك عن معناك وما أفنيت الله في معناك فهو الباقي والقديم بمعناه، في وصف وقائم قيام معناك، {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء فإذا جاءه لم

يجده شيئا ووجد الله عنده}[١٣]. إن البقاء لربك بوجوهه والفناء لنفسك في تكاثر خلقك فصلِّ لربك وانحر.

كل هذا جاء به الإسلام، وكل هذا جاء به رسول الفطرة وأمينها وعنوان الفطرة وعلمها، ظاهر الغيب من الإنسان ومن الله، ذكر الله المحدث بعينه لذكره القديم، يد الله عند الناس تمد، ووجه الله للناس يشرق، وحوض ماء الحياة فيهم منه يدوم ويمتد، ونور الحياة، ونور المعرفة، وروح الدوام، وروح الأبد والأزل. هذا هو رسول الإسلام وإنسان الله وعبد الله، ورب الناس وملك الناس وإله الناس، ربَّهم فما عرفوه، ومَلكهم فما أطاعوه، وغاب عنهم ذاتا من ذوات وما آمنوه، وأبلغوا أن فيهم رسول الله ففي أنفسهم وفي معانيهم كفروه.

إنكم عوالم الله، هو لها رب وهو لله عبد ما آمنتم بالله ورسوله في أنفسكم. (ما عرفني غير ربي)[١٤]. صدقت يا حبيب الله، ومن ذا الذي يعرفك إن لم يؤمن بك ويهدى من الله إليك، فتكن أولى به من نفسه ومن ماله وولده! {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[١٥]، (أنا جد كل تقي)[١٦]. إذا كان كائن البشرية حقيقة جديرا أن يكون ابنا لآدم وهو له أب، فليعلم أن آدم كان جديدا لقديمه من الحق، فكان معنى ولده لجديده في الحق، فالرسول لك مؤمنا جديدك وقديمك وجدك من قائمك، يوم يكون لك به ابن ولك به أب، يوم يكون لك بيت.. يوم يكون لك من الوجود به أم وأهل. إن الرسول لا يعرف من لا يعرف له أبا ولا أما. إنه لا يعرف من لا بيت له ولا أهل له. إن الذي يجعل بيته من المادة لا بيت له، والذي يجعل أباه من المادة لا أب له، والذي يجعل أمه وأهله من المادة لا أم ولا أهل له. إن الذي ينكر على المادة أن تكون له بيت، وله أهل وله أب، وله أم، فذاك هو اليتيم.. يتيم الكون.. ويتيم الكائنات.. هذا هو الذي يصلح لأن يكون الله له أباه وأمه وأهله وبيته. ومن كان كذلك أمر الرسول أن يجعله منه، على ما جعله الله منه.. {فأما اليتيم فلا تقهر}[١٧]. وحال الرسول يخاطبنا في دوام.. وجدني يتيما فآواني فتواجد لي الأب والأم والبيت والأهل، وإني إن وجدت بينكم من أدرك اليتم فكان في هذا سعادته فسيجدني له من الله الأب والأم والأهل، كما يجدني منه إذ يجدني في جديده، إن فارق قديمه، وإن عرفني عرفني على ما يليق أن أعرف، وعلى ما يليق أن يعرف الله. ما عرفني من عرفني في قابليته وزعم قابليتي للعدم، وأنا الحي في قبري، وأنا الحي في وجودي، وأنا الحي في القلوب، من رآني فقد رآني حقا لا يموت ولا يغيب، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[١٨]،واعلموا أن الله أقرب إليكم من حبل الوريد، واعلموا أنكم في الله، واعلموا أن فيكم رسول الله، ورسول الله فيكم يطلب الله أنتم فيه، واللَه أنتم فيه يطلب عبده فيكم، فأنتم تحولون بين العبد وربه بغفلتكم وبمادي قيامكم، والله يحول بين المرء وقلبه فيكم، ما حلتم بين عبده فيكم وربه عليكم بمادي

قيامكم. أسقطوا أسوار قيامكم بين العبد وربه، يسقط الله الحواجز بين عقولكم وقلوبكم، فتعرفون الله أنتم وتعرفون الله في معناكم، وتعرفونكم في الله لا مخرج لكم منه، ولا حيلولة بينكم عنه، إن فعلتم فكنتم، فهذا هو الإسلام، يوم تشهدون أنه لا إله إلا الله، ويوم تعلمون أن فيكم رسول الله فتشهدون أن محمدا رسول الله.

اللهم يا من أظهرت محمدا على الدين كله به علمنا.

اللهم يا من أوجدته وتواجدته وآويته، به أوجدنا وتواجدنا وآونا.

اللهم يا من أبلغتنا أن فينا رسول الله، اللهم به فابعثنا، وبه فانشرنا، وفينا فانشره وبنا فأعلمه.

اللهم يا من رفعت ذكره، وغفرت ذنبه، وأعليت بيته، ولم تجعل لبشر الخلد من قبله فأخلدته يوم كثرته وجددته، وبالحق أبقيته ونشرته وبالكوثر دثرته.. اللهم به فأحينا، واجعل منا له دثارا، واجعل به لنا منارا، وبه دثرنا وبنا دثره، وبه فأعلنا وبنا فأعله، وإلى بيته فآونا وبيتا له فارفعنا، وبيوتا له فضعنا، يا من علَّمت هذا وهديت إليه، اهدنا واهدِ بنا، ويا من أعطيت كل شيء خلقه، قدرنا على خلق أنفسنا، ويا من قدرت فهديت قدرنا على الاهتداء بك إليك فينا، وعلى الدخول عليك بمشيئتنا نعلمها مشيئتك. خلصنا من الشرك بك، وارجعنا لأنفسنا إليك موحدين مؤمنين أوابين مستغفرين، وبرحمتك فارحمنا يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

{إن الله لا يغفر أن يشرك به}[١٩]

{وهو معكم أين ما كنتم}[٢٠]

{قائم على كل نفس بما كسبت}[٢١]

{ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}[٢٢]

{والله من ورائهم محيـــط}[٢٣]

(ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان)[٢٤]

(ازرع كلمة الله في أرض ناسوتك)[٢٥].

{قل جاء الحق...}[٢٦] {... ووجد الله عنده}[٢٧]

{والذين آمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق...}[٢٨]

مصادر التوثيق والتحقيق

١ حديث شريف: "المسلمُ أخو المسلمِ، لا يخونُه، ولا يكذِّبُه، ولا يخذُلْه، كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، عِرضُه، ومالُه، ودمُه، التقوى ها هنا وأشار إلى القلبِ بحسْبِ أمرئ من الشرِّ أن يحقِرَ أخاه المسلمَ". أخرجه الترمذي باختلاف يسير، وأخرجه مسلم مختصرا.

٢ قال أبو بكر: "ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته". صحيح البخاري.

٣ عن علي ابن أبي طالب قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.

٤ من حديث شريف: "حياتي خيرٌ لكم تُحدِّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم". أخرجه النسائي والطبراني.

٥ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأَكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٦ سورة لذاريات ٤٧

٧ سورة يس - ٨١

٨ استلهاما مما جاء في بعض الآثار: يقول تعالى: ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلفت برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء. وذكرهما كذلك المناوي في فيض القدير. قائلا: "ولم نعثر بعد البحث على عزوهما للنبي صلى الله عليه وسلم فلعلهما مما روي عن أهل الكتاب."

٩ سورة الإنسان -٣٠

١٠ سورة الصافات - ٩٦

١١ سورة الأعراف - ١٧٢"

١٢ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧

١٣ سورة النور - ٣٩

١٤ حديث شريف ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي."

١٥ سورة الأحزاب - ٦

١٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "سُئِل رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم مَن آلُ محمَّدٍ فقال كلُّ تقيٍّ وقال رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم {إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ}. أخرجه الطحاوي في ((أحكام القرآن)) مختصراً، والعقيلي في ((الضعفاء الكبير))، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) باختلاف يسير.

١٧ سورة الضحى - ٩

١٨ سورة الحجرات - ٧

١٩ سورة النساء - ٤٨ , سورة النساء - ١١٦

٢٠ سورة الحديد ٤

٢١ سورة الرعد - ٣٣

٢٢ سورة ق - ١٦

٢٣ سورة البروج - ٢٠

٢٤ عبارة صوفية متناغمة مع الآيات الشريفة التي جاء فيه أن الإنسان هو خليفة الله في الأرض.

٢٥ استلهاما من تعاليم السيد المسيح وهو يدعو حواريه أن يزرعوا "الكلمة" أي كلمة الله، أي المسيح في أرض ذواتهم.

٢٦ سورة سبأ- ٤٩

٢٧ سورة النور - ٣٩

٢٨ سورة محمد - ٢